مادة الفلسفة الحديثة – سنة ثالثة – فصل ثاني

ماركس : فقط الفقرات التالية :

- مقدمة ، أصول الفلسفة الماركسية
- المادية التاريخية و المادية الجدلية
- نظرية الاغتراب
- الأسس الاقتصادية للماركسية : الأصول الأربعة للتفسير الاقتصادي الماركسي (نظرية القيمة و العمل ، نظرية فائض القيمة ، مبدأ البؤس ، تركيز رأس المال)
- ديكتاتورية البروليتاريا

ملاحظة : باقي المادة العلمية للقسم الذي أعطي – أي هيغل – سيعطى فيما بعد

د . منيرة مهيد

رقم 1

Scanned by CamScanner

الفصل الحادي عشر

كارل ماركس Marx

١ ـ اصول الماركسية :

كانت عقيدة كارل ماركس[١] نتاج حداثة المانية ، والبيئة الفكرية التي نشأ في احضانها بيئة المانية ايضا . وكارل ماركس نفسه تحدر من عنصية يهودية يحظى بالدراسي من عقائده . ولذلك فقي وسع الباحث ان يتتبع اصول الماركسية في البيئة التي نشأ فيها صاحبها .

والبيئة الفكرية الالمانية لذلك العهد تميل بنشاط وتجديد وتحفز للتقويم والبناء . فقد انبثقت افكار الثورة الفرنسية في ارجاء البلاد وادت الى يقظة الوعي الالماني ، فدب في الفكر الالماني نشاط عميق وانبرت العقول وثارت الجدل حول مختلف المسائل والمشكلات . وبعد هزيمة الالمان امام الفرنسيين في يينا Jena وقد تكشفت الجهود وحققت المواهب الالمانية عن ذاتها . وتوجهت اصداء الدعوة الى استعادة مجد المانيا على السنة الفكرية والفلاسفة . فوجه أ فيشته (١٨٠٨) الى الامة الالمانية خطبه وكتب أ شلراوي ا Schleiermacher كتابه في حياة المسيح وجه نقد لاذع للمسيحية ودعوة جريئة الى التفكير الحر . وعرف العالم تباعا الحادي عشر ان الشاعر أ هينه ا Heine قد ترك وراءه تراثا فلسفيا جديدا في

---

(١) يطالع تفاصيل حياة كارل ماركس في كتاب جيلبرت سينوه :

Gilbert Stenou : Karl Marx ou le Prophète Désespéré. Bibliothèque Nationale Paris - 1948

Marx ou Nouveau Pierre- Paris - 1948

رقم 2

Scanned by CamScanner

ألمانيا لا يؤدي الى هدم وتقويض العقيدة فحسب بل يقضي ايضا الى انهيار صميم فيما الانسانية العربية . واصبحت اقوال الفلاسفة بالاحترار والفخر بالشعب الالماني ، فهو الشعب المختار ، شعب المستقبل ، فقيه يتمثل وحي الانسانية في اسمى مراتبه كما يقول (فيشته) [1] !

والالماني في ذلك العهد يؤمن بالحرية والكمال ويعتقد بالجنس البشري اعتقادا منطلقا لا يقف امامه حدود او قيود . والفيلسوف (هيجل) يذهب الى أن الدولة البروسية هي ظل الله على الارض . فالالماني يتهيأ بهذه النزعة من التأمل وطبيعته يقع عبء بناء الحياة الانسانية بناء جديدا شامخا .

لا بد ان (ماركس) تأثر بهذه الدعوة ، وان كان (ماركس) لم يجعل هدفه عظمة المانيا وحدها ، بل بناء المجتمع الانساني كله على اساس علمي صادق ولا شك ان هذا الاثر الفعال الذي نفذ الى (ماركس) من العقلية الالمانية يعد دعامة اصيلة من دعامات مذهبه الفلسفي .

وتستند اصول الماركسية الى دعامات ثلاث :

١ــ الفلسفة الالمانية في مطلع القرن التاسع عشر ، وبخاصة فلسفة هيجل .

٢ــ الاشتراكية الفرنسية عند (بابيف) Babeuf الى سان سيمون وعند (فورييه) الى (بلانكي) .

٣ــ الدراسات الاقتصادية عند علماء الاقتصاد السياسي الانجليز

وقد اخذ (ماركس) من الاشتراكية الفرنسية الفكرة القائلة بأننا نعيش في فترة ثورية يبذل الشعب المضطهد فيها جهده ، لكي يحطم القيود التي

---

(١) انظر (ندا ت الى الامة الالمانية) لفشته . وقد نوهنا به من قبل .

رقم 3

Scanned by CamScanner

رقم 4

يرسف في اغلالها ، فالعمل الخالد الذى ينبغي ان يقوم به الانسان هو الثورة . واخذ عن علماء الاقتصاد الانجليز ان هنالك قوانين اقتصادية تتحكم في حياة المجتمعات ، وان هذه القوانين مستقلة عن كل اعتبار اخلاقي . واستعد ماركس من فلسفة هيجل اداتها القوية اعني الجدل ، ويوجه له بأنه تلميذ مخلص لفلسفة هيجل . وبالرغم من انه ينقد جوانب عديدة فيها ، فانها بقيت في اطارها العام حصنه الفكرى . فقد ذكر (ماركس) في مقدمة كتابه (رأس المال) انه عندما كان يكتب الجزء الاول من (رأس المال) ، كان هناك شباب متعلم ضحل الثقافة يدعو هيجل بأنه (كلب ميت) ويعلن ماركس على الملأ انه تلميذ هذا المفكر العظيم (١) .

هذه التيارات الثلاث : تيار الاشتراكية الفرنسية ، وتيار الفلسفة الهيجلية ، وتيار القوانين الاقتصادية التقت عند عبقرية (كارل ماركس) وتمخضت عنها فلسفته وهي فلسفة لها طابعها الجديد ولها اصالة في دعوتها . ولا يمكن بأي حال ان نزعم بأن الفلسفة الماركسية هي ثمرة اماني وآمال الطبقة العاملة وان اقترنت دائما بهذه الطبقة . ان نظرية ماركس الفلسفية مشروع فكرى ضخم يقترن فيه النظر بالعمل ، ويفسر الفكر بالمادة ويترتب على هذه القضية نتائج بالغة الاهمية .

Scanned by CamScanner

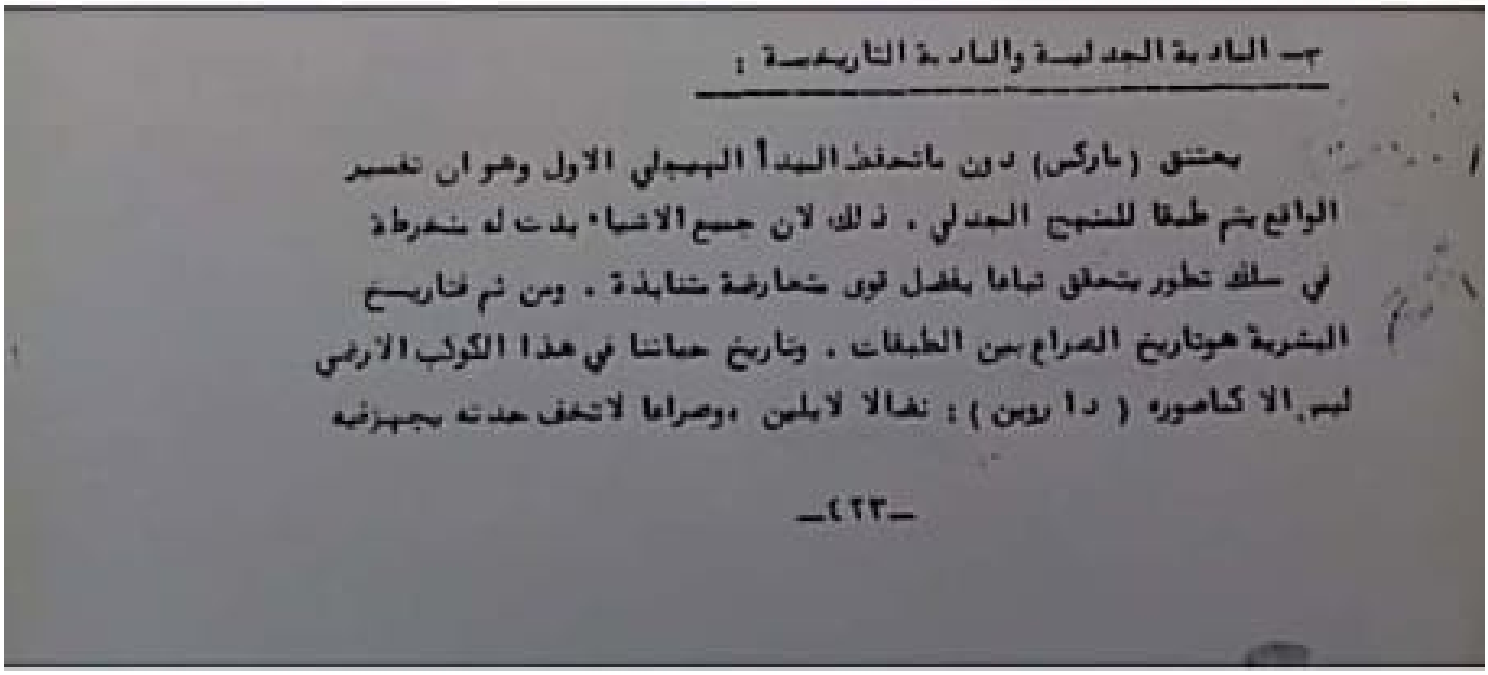

٣- المادية الجدلية والمادية التاريخية :

يعتنق (ماركس) دون ماتحفظ المبدأ الهيجلي الاول وهو ان تفسير الواقع يتم طبقا للمنهج الجدلي . ذلك لان جميع الاشياء بدت له متغيرة في سلك تطور يتعلق تماما بفضل قوى متعارضة متنابذة . ومن ثم فتاريخ البشرية هو تاريخ الصراع بين الطبقات . وتاريخ حياتنا في هذا الكوكب الارضي ليس الا كما صوره (دا روين) : نضالا لايلين ،وصراعا لاتخف حدته بجهزته

-٢٢٣-

رقم 5

Scanned by CamScanner

الاقوياء على الضعفاء .

ولكن (ماركس) يقلب الجدل الهيجلي رأسا على عقب . فعند هيجل (يمشي الجدل محلقا فوق الرؤوس وعند ماركس يهبط الجدل ليمشي على الارض . العالم المادي عند هيجل تحقيق للفكر اذ يقف امامه كنقيض له . وماركس ينضم الى مادية (فويرباخ) الذي يذهب الى ان المادة ليست نبت الفكر وانما الفكر نتاج المادة . أليست المادة هي التي تلوح لنا الحقيقة الواقعية الجوهرية الماكن قبل كوني فكرا بفكر كائنا عضويا لا يرى ولا يلمس الا المادة ، ولا يتحقق له فعل الا في المادة ؟ ان الحقيقة الواقعية الوحيدة هي ذلك العالم المادي الذي تدركه حواسنا وننتمي اليه جميعا . وماوعينا وماافكارنا ـ وهما يبدوان للبعض متباينين ـ الا نتاجا لعضو مادي هو المخ . ليست المادة ثمرة الفكر ولكن الفكر ذاته لا يعدو ان يكون اسمى ثمرات المادة .

وعلى ذلك فماركس يعد و ماديا ، بيد ان ماديته ليست هي المادية الالية الذرية عند ابيقورس التي تجعل من المادة النقاء وافتراقا لذرات تتحكم فيهما الصدفة . ويترتب على هذه النظرة اعتبار اللذة الحسية الغاية الاخيرة التي يسعى اليها الانسان . ان مادية (ماركس) وثيقة الصلة بمادية الرواقيين . اولئك الذين يتمثلون العالم مارد اضخما تحركه من اعماقه النفس . ومادية الرواقيين تقضي بالانسان الى البطولة . فالانسان لا يعيش مغلقا على نفسه انانيا في رفاهته واهدافه ، بل يعيش طبقا لقوانين العالم واتباعا لسنته اذ لا يعدو ان يكون جزءا صغيرا في هذا العالم الكبير . فالجدل الماركسي ينظر الى الطبيعة لا على انها اشياء اجتمعت صدفة ولا على انها ظواهر منفك بعضها عن البعض ، منعزلا بعضها عن البعض الاخر ، مستقل تماما عنه بل على انها كل موحد متناسق ترتبط فيه الظواهر ارتباطا عضويا فيما بينها بحيث

رقم 5

Scanned by CamScanner

الاقوياء على الضعفاء .

ولكن (ماركس) يقلب الجدل الهيجلي رأسا على عقب . فعند (هيجل) يمشي الجدل معلقا فوق الرؤوس وعند ماركس يهبط الجدل ليمشي على الارض . العالم المادي عند هيجل تحقيق للفكر اذ يقف امامه كنقيض له . وماركس ينضم الى مادية (فويرباخ) الذي يذهب الى ان المادة ليست نبت الفكر وانما الفكر نتاج المادة . أليست المادة هي التي تلوح لنا الحقيقة الواقعية الجوهرية الماكن قبل كوني فكرا بفكر كائنا عضويا لا يرى ولا يلمس الا المادة ، ولا يتحقق له فعل الا في المادة ؟ ان الحقيقة الواقعية الوحيدة هي ذلك العالم المادي الذي تدركه حواسنا وننتمي اليه جميعا . وماوعينا وافكارنا ـ وهما يبدوان للبعض متباينين ـ الا نتاجا لهذا المادي المخ . ليست المادة ثمرة الفكر ولكن الفكر ذاته لا يعدو ان يكون اسمى ثمرات المادة .

وعلى ذلك فماركس يعد ماديا ، بيد ان ماديته ليست هي المادية الالية الذرية عند ابيقورس التي تجعل من المادة النقاء وافتراقا لذرات تتحكم فيهما الصدفة . ويترتب على هذه النظرة اعتبار اللذة الحسية الغاية الاخيرة التي يسعى اليها الانسان . ان مادية (ماركس) وثيقة الصلة بمادية الرواقيين ، اولئك الذين يتمثلون العالم مارد اضخما تحركه من اعماقه النفس . ومادية الرواقيين تقضي بالانسان الى البطولة ، فالانسان لا يعيش منغلقا على نفسه انانيا في رفاهته واهدافه ، بل يعيش طبقا لقوانين العالم واتباعا لسنته اذ لا يعدو ان يكون جزءا صغيرا في هذا العالم الكبير . فالجدل الماركسي ينظر الى الطبيعة لا على انها اشياء اجتمعت صدفة ولا على انها ظواهر منفك بعضها عن البعض ، منعزلا بعضها عن البعض الاخر ، مستقل تماما عنه بل على انها كل موحد متناسق ترتبط فيه الظواهر ارتباطا عضويا فيما بينها بحيث

رقم 6

Scanned by CamScanner

يعتمد بعضها على البعض الاخر، ويكون بعضها مشروطا بالبعض الاخر بشروط متبادلة • فالمادية الجدلية تجعل للعالم وحدة عضوية • ولكنها مع ذلك لا تفسره على الطريقة الرواقية بمقارنته بوحدة الكائن الحي ، وانما تقارنه بوحدة نظام جدلي للفكر • ان الفكر الحي يقوم بالتردد والتقدم والتأخر فهو يؤيد وينفي ، ويواجه وجهات نظر متعارضة بعضها بالبعض الاخر بحيث يبدو لنا انها • وبينما يحل هذا النقض الى ضعف فكرنا ، ترى الماركسية تجد في هذا النقض كنه الطبيعة الاشياء •

اذ الآن هنالك تأييد ونفي ، اذ كان هنالك مع وضد ، فما ذلك الا لان الحقائق الواقعية ليس لها وجوه عديدة فحسب ، ولكن لها وجوه متغيرة ومتناقضة أيضا • فالواقع ليس موجودا فحسب، بل هو غير موجود ايضا ، انه صيرورة لا تتوقف وتتمثل لنا دائما في عناصر عديدة يناقض بعضها البعض الاخر • وليس في وسعنا ان نصل الى هذا الواقع في منبعه ، وانما حسبنا ان نستخلص قوانين تطوره • والقانون الرئيسي الجوهري هنا هو قانون الصراع، فليس تعايش يمكن ان يتصف به الموجود الا اذا وقف في وجهه نقيضه الذي سيلتحم معه في صراع وينقض عليه • وعلى ذلك فكل موجود يحمل ذاته للهلاك • ومن هنا نجد الارسقراطية تفضي الى البورجوازية التي قضت عليها ، وستصبح البورجوازية ضحية بين يدي البترولياريا التي تمخضت عنها • ومن هنا تجد الماركسية تضعنا في حيرة لانها تجعل التناقض اساسا للواقع • ان المادية الجدلية تفترض الفكر في المادة ، كامنا في اعماق قوى الانتاج المادي •

وتنطوي المادية الجدلية على المادية التاريخية • ذلك لان المادة هي مبدأ الكل ، ومن هنا فتطور المادة لا تطور الفكر هو الذي يتحكم في العالم • ويتساءل (ماركس) حينئذ : ما هي الظاهرة المادية التي تتطور دائما

رقم 7

Scanned by CamScanner

وتدير التاريخ الانساني ؟ ليست هي البيئة الجغرافية التي لا تتغير، وليست هي كذلك كثافة السكان • ان تطور وسائل الانتاج هو اساس تطور المجتمعات ومحور التاريخ الانساني • فالعوامل الاقتصادية هي التي يمكن ان نفسر على ضوئها تطور المجتمع الانساني •

فالانسان ينفق معظم وقته في العمل لكي ينتج غذاءه ويصنع ملابسه ويبني مسكنه وهو في عمله يستعين بادوات خاصة • وكلما تطورت هذه الادوات تعدلت العلاقات الجارية بين الناس ويترتب على ذلك اختلاف العلاقات الاجتماعية وتباين الايديولوجيات • وتتحكم في هذا جميعه العوامل الاقتصادية • وعلى هذا الاساس يتطور التاريخ : فالطاحونة التي تدار باليد تزودنا بالمجتمع الاقطاعي ، والطاحونة التي تدار بالبخار تزودنا بمجتمع صناعي رأسمالي •

ونحن نجد شرحا وافيا لهذا النمط من التطور في كتاب (كارل ماركس) (نقد الاقتصاد السياسي) •

(في الانتاج الاجتماعي لوسائل العيش يرتبط الناس بعلاقات محددة ضرورية ومستقلة عن ارادتهم • علاقات انتاج تطابق مرحلة محددة من تطور قوى الانتاج • وبشكل مجموع هذه العلاقات البناء الاقتصادي للمجتمع، ومن ثم فهي الاساس الواقعي الذي ينهض عليه صرح البناء القانوني والسياسي، والذي تتوافق معه اشكال اجتماعية محددة • وطريقة الانتاج في الحياة المادية تحدد بوجه عام النشاط الاجتماعي والسياسي والعقلي في حياة الناس وعلى ذلك فليس الشعور الانساني هو الذي يحدد طريقة وجود الانسان ، وانما وجوده الاجتماعي هو الذي يحدد شعوره • (١)

---

(١) نجد هذه الفقرة في ٥٢٦ من كتاب جيد : تاريخ المذاهب الاقتصادية •
Ch.Gide: Histoire des Doctrines Economiques Paris 1947

رقم 8

Scanned by CamScanner

ومن ثم فالتاريخ يشمل خمسة انماط جوهرية لعلاقات الانتاج : الجماعة البدائية ، والرق ، النظام الاقطاعي ، النظام الرأسمالي ، النظام الاشتراكي .

ففي نظام الجماعة البدائية نجد ان وسائل الانتاج تتطور من الادوات الحجرية الى القوس والسهم . وهي لا تتيح للفرد ان يعامل منفردا ضد قوى الطبيعة والحيوانات التي يصطاد لغذائها . فالناس يذهبون الى الصيد والقنص جماعات . ومن ثم فالملكية ملكية اجتماعية ، والمجتمع يخلو من الطبقات .

وفي نظام الرق تغدو وسائل الانتاج ادوات معدنية تتيح استثمار الارض وتغدو الملكية ملكية ارض وملكية ادوات ذات قيمة عالية . ويبدأ الغني يستعبد باستخدامه على الفقراء ، فيصبح هؤلاء رقيقا ملزمين بحرث الارض واستثمارها لصالح صاحبها .

يتصف النظام الاقطاعي بأن هناك حقا محدودا للامير على الرقيق . وذلك بفضل تقدم ادوات الانتاج . فهنا عربات وآلات للنسج ، وهذه تتطلب من العامل قدرة ومهارة . وهنا نرى الامير يفضل التعامل مع رقيق قادرين على الانتاج على التعامل مع رقيق لا يجيدونه .

أما في المجتمع البورجوازي او الرأسمالي ، فوسائل الانتاج هي المصانع وفي وسعها ان تنتج كميات ضخمة وفي سرعة عالية . والرأسمالي الذي يملك هذه الوسائل في حاجة الى حرية تمكنه من شراء المواد الاولية وبيع المنتجات المصنوعة والعامل هنا حر وفقير معا . فهو حر بمعنى يتمكن صاحب رأس المال من استخدامه او طرده ، بما يتفق مع مصلحته . وهو فقير من حيث انه لا يستطيع وحده ان يرضي حاجاته ويلبي مطالبه ، فهو على ذلك مضطر ان يبيع طاقته في العمل . فالعامل هنا كادح شأنه شأن العبد او الرقيق يستغله صاحب رأس المال فيبيع طاقته يبيع حياته ، وعمره بالمال . وفي هذا النظام الذي يؤدي ارتفاع شأن التجارة

رقم 9

Scanned by CamScanner

فيه الى تقدير كل شيء بالمال ، يصبح كل فرد عبدا للمال . فالمال اوالنقد هوالذى يجعل للناس قيمتهم .

أما في النظام الاشتراكي فالمجتمع هوالذى يملك وسائل الانتاج . وهنا يخلو المجتمع من الطبقات . وتنمو وسائل الانتاج نموا حرا ، وتتطور تطورا منطلقا من كل قيد . هنا ينتهي صراع الطبقات، ذلك الصراع الذى تولد عن وجود طبقتين متنازعتين : طبقة المستغلين وطبقة المستغلين هذا الصراع هوتحرير من الجدل الناشب بين نقيضين في الميدان الاجتماعي .

والمادية الجدلية تنطوى دون مايريب على جانب من الحقيقة ولكنها تتعمد اغفال سائر جوانبها . ذلك لان للابد يولوجيات وللقيم المعنوية آثارها ايضا في المجتمعات . فاذا كان من الخطل ان نظن بأن مجتمعا مايمكن ان ينهض على القيم الاخلاقية فمن الخطل كذلك الظن بأن مجتمعا يمكن ان ينهض دونها . هل في وسعنا ان نقول ان آراء سقراط وتعاليم الانبياء والرسل وحكم كونفوشيوس وبوذا لا تعدو ان تكون نتاجا للبيئة الاقتصادية في مختلف المجتمعات التي استجابت لها ، وليس لها على ذلك اى اثر في التاريخ ؟ واذا جاز لنا ذلك فكيف نفسر ان بلادا تقدمت فيها الصناعة تقدما مذهلا كالمانيا وانجلترا . ثم اتجهت الاولى الى الدكتاتورية النظرية قبل الحرب العالمية الثانية وانجهت الثانية الى الديموقراطية ؟ واذا كان الاقتصاد وحده هوالذى يتحكم في تطور المجتمع، فلم اشتعلت نيران الثورة الاشتراكية في روسيا والدكتاتورية حينئذ متخلفة اقتصاديا دون ان تمهد لها ثورة بورجوازية لا شك في ان للافكار اثرا فعالا في قيادة العالم . ولا نزاع في ان العوامل الاقتصادية تشكل الدعامة الاصيلة التي ينهض عليها وجودنا وتستند اليها حياتنا ، ولكن الطريقة التي يتم بها توافقنا مع هذه العوامل تعتمد في اكبر جزء منها على طبيعة تصورنا للحياة .

رقم 10

Scanned by CamScanner

ولم يفت (ماركس) أن يلاحظ هذا الاعتبار، وانجلز نفسه يعلن ان ـ مادية ليست مادية مطلقة كما يزعم البعض ذلك • فالعامل المحدد للتاريخ بمقتضى التطور المادي، هو الانتاج • • • ان الحالة الاقتصادية هي الاساس والدعامة، بعد ان للعوامل الاخرى اثرها ايضا في مجرى الصراع التاريخي نحن نصنع تاريخنا بانفسنا ولكن بمقدمات واحوال محددة غاية التحديد • • والظروف الاقتصادية هي الشروط المحددة •

ولكن اليس ثمة تناقض في قولنا معا بأن للانسان شخصيا فعالا وانه مع ذلك مجبرون ومسيرون ومحددة افعالنا من قبل ؟ لا • فان الفلسفة الماركسية ليست كغيرها من الفلسفات تشيد صرحها على اساس عقلي مجرد • وانما هي فلسفة تعكس الصيرورة التي يمضي في تيارها التاريخ • فالشيوعية ليست في نظر اصحابها ثمرة الفكر والتأمل الشخصي، ومن ثم فهي ليست مثلا اعلى يشكل الواقع، وانما الشيوعية حركة فعالة تقضي على الحالات القائمة • وعلى ذلك فالماركسي حين يحلل فهو يعمل ضرورة في اتجاه التاريخ، وهو يخضع بالتالي لحتمية اقتصادية • والعقل فعال من حيث انه يدرك الحالة القائمة ويثيرنا الى الحركة الجدلية • وذلك لاننا لا نكون على وعي بحالة ما الا اذا التزمناها ونظرنا اليها نظرة نافذة محللة • وعلى ذلك فوعينا بالمجتمع القائم ليس تفكيرا سليما في حالة شيء من الاشياء • وانما هو الذي يكشف لنا في وضوح التناقض الجدلي القائم في الواقع ويدعو الى حله •

كل هذا يدعو الى التفكير ويدفع الى المناقشة • فالواقع ان (ماركس) قد الف مذهبه تأليفا عقليا، وبدا من حيث بدا (هيجل) ومضى في نفس الطريق الذي يمضي فيه كل فيلسوف • ولكن الماركسية تلتقي بنفس العقلية التي تلتقي بها الوجودية الملحدة : كيف نفسر الضمير الانساني والوعي الفكري والعاطفي

رقم 11

Scanned by CamScanner

فان الوعي عند الماركسية لا يعدو ان يكون انعكاسا لحالة من حالات • هو حركة دائمة بين النقيض ونقيضه ، وهو حركة دائبة فيها حيوية وحياة ولكنها تمضي دون ما هدف محدود أو غاية واضحة تفسر لنا غايتنا من الحياة وصيرورتها في الوجود ، فهي تفضي بنا الى العدم كما تفضي بنا اليه الحرية الوجودية •

٤ـ نظرية الانحراف :

مادمنا من البداية قد قلنا أن الانسان لا يمكن ان يكون فكرا خالصا ، وانه ليس ثمة فكر خالص وانما الفكر يتولد من المادة • ومادامت دعامة النظر الى الانسان دعامة مادية • فحقيقة الانسان تتمثل في كفاحه • وغاية الانسان على ذلك هي العمل ، والحياة تتطلب منه نضالا متصلا وكفاحا مستمرا يرتبط فيه تفكيره بعمله ، فالعمل يدفع الى الفكر ، والفكر يحفز الى العمل • ففي كل حقبة من حقب التاريخ نجد العالم الحسي ثمرة نشاط اجيال متعاقبة كل منها قد انتفع بجهود الاجيال السابقة عليه ، فلهذه الصفة ، وانتظم المجتمع انتظاما يتسق مع تبدل الحاجات المادية • فالحبوب وانجار الفاكهة مثلا هي نتاج العبقرية الانسانية اكثر من كونها نتاجا للموانات الطبيعية • فالانسان على ذلك يخلق العالم وفي نفس اللحظة يخلق نفسه • ذلك لان بيئته تتحكم في وعيه • ذلكم هو المعنى الذى نستخلصه من الصيغة المشهورة ، (ان تاريخ العالم لا يعدو ان يكون انتاج الانسان بالعمل الانساني) • عند هذه النقطة الجوهرية تلتقي الماركسية والوجودية وعندها ايضا تفترقان • فالماركسية كالفلسفة الوجودية ترى ان الانسان هو خالق ذاته وكذلك الوجودية • ولكننا بينما نرى أ سارتر يذهب الى ان الانسان في جوهره لا يعدو ان يكون وعيه ، وهو بذلك يخلق ذاته خلقا فرديا بنشاط وعيه ، نجد الانسان في الماركسية عضوا في جماعة فهو يخلق ذاته خلقا جماعيا حين يخلق العالم •

رقم 12

Scanned by CamScanner

واماركس) يرى ان الخبرات التي يخلقها الانسان سرعان ما يفلت زمامها من يديه فتتحدى ارادته وتتألب عليه • وتتخذ هذه الخبرات اشكالا متعددة في النقد وفي رأس المال ، وتنتقل السلطة بذلك من يد الانسان الى يد مارد جبار هو رأس المال • ويعود رأس المال الها لعالم جديد هو عالم الرأسمالية يتحكم في الفرد ويتعبد الفرد في محرابه • فكأن الانسان بذلك يتخلى عن ذاتيته ويتأى عن فاعليته ، اثراء بعد ان جمع رأس المال بعرقه وكفاحه اتخذ منه الها يسترضيه ويتقرب اليه ؟ فكأنه قد بنى بيديه صنما ثم عاد فسجد امامه في خشوع العابد •

يذكر (شتراوس) في كتابه (حياة المسيح) ان الالوهية هي امانى الانسان وقد تحققت • معنى هذا ان الالوهية من ابتكار الانسان ومن صنع يديه ، وهو يتوسل بها لكي يوهم نفسه بأن رغباته تحققت او ستحقق • وهنا يتساءل (فويرباخ) بأى شيء يخلق الانسان الالهة ؟ لعله يخلقها بأسمى مشاعره واجمل افكاره اى بأفضل ما في ذاتيته من حب وعدالة وجمال •• او هو بعد ذلك لم يعد يرى هذه الصفات في مرآة نفسه ، وانما يتمثلها في وجه الله فالانسان هنا يتحرف لانه خلع ما في نفسه على شبح ثم الهه •

وحين يتسامى الانسان الى موجود وهمي ، خلقه خياله الاسطورى فهو يتخلى عن مطالبه الجوهرية في هذه الحياة الدنيا ، وهي المطالب التي لابد منها لتطور المجتمع وكمال الحياة الانسانية • والانسان هنا يتحرف ويتحرف من اجل وهم ، وهو يفقر ذاتيته ويجد لذة في الذلة والخضوع والاستكانة والخنوع ، فيبتعد عن الواقع الزمني الارضي المادى ، يبتعد عن المنفعة القائمة وعن مواجهة الحياة والامل في تعديلها الى ما هو افضل •

ويستغرق فيما وراء ذلك في عالم غيبي زينه له خياله • فالدين هنا غيبة

رقم 13

Scanned by CamScanner

عن الواقع وامعين للناس بسلبهم ارادتهم وبطشه • فهم جذوة النضال •

وتكمن الايديولوجيات العقلية ماثلة بين في هذا الصنار، فهي تعمل أيضا على تضليل الناس وايهامهم معاني حملة اسمه بالضلال الا جوف • تسأى بهم عن تمثل الحقيقة الكامنة في الواقع الاجتماعي المادي • فالثورة الفرنسية مثلا تلوح بشعار الحرية والاخاء والمساواة، وهو شعار مظلل لانه لا ينطوي الا على الخداع والتضليل • ذلك لان المجتمع الذي تمخض عن الثورة الفرنسية مجتمع رأسمالي، وليس في هذا المجتمع حرية او اخاء او مساواة الا من اجل مصالح طبقة واحدة هي طبقة البورجوازية، وانك الطبقة الثائرة كما هي : باسم الحرية تسلب حريتها وباسم المساواة تستغل اسوأ استغلال • وباسم الاخاء تسام العذاب والهوان •

والانحراف الايديولوجي يشمل اصنافا من مراوغ الطبقات: فالافكار السائدة في حقبة من الزمن لم تكن دائما كما يقول ماركس الا افكار الطبقة الحاكمة فهذه الطبقة تمثل جهدها بشتى الطرق وبمختلف الوسائل بخلق ايديولوجية تستند اليها في تعزيز مكانتها واحكام سيطرتها على سائر الطبقات • وغالبا ما تكون هذه الايديولوجية ايديولوجية دينية تخلق في نفوس الناس آمالهم في حياة مادية ارضية وتخلد شعلة النضال المتقدة في اعماقهم • وتعدد تلهيهم بانفسهم، فتنهي الامر بهم الى افراد منطوين وخائفين ذلا • يتوجسون خيفة من ان يأكلهم ويخنقون بين لحظة واخرى بخشية بهم • وهم وقد فقدوا السعادة على الارض يعدون الامل على انه عادة في السماء، ومن اجل هذا الامل يتقبلون الشقاء ويرضون بالحرمان • وهم يخشون دائما عذاب النار ولذلك لا يبحثون عن الصالح الذي ينعم بها الاغنياء •

فكأن انحراف الانسان عن الغاية السليمة التي ينبغي ان ينشده انما

رقم 14

Scanned by CamScanner

وتحالفه دون الجهاد من اجل تحقيق هذه الغاية وتخلفه عن الارتباط بالكفاح مرجعه اصلا الى العقيدة الدينية ، والى الايديولوجيات المستندة اليها ويرد الى (ماركس) في حكمه على الدين فقد ذهب الى ان المسيحية قد بررت الرق وايدت العبودية وبثت في النفوس روح الذلة والاستسلام والخنوع ، وكان لابد لماركس ان يغالي في هذه الحملة ، وان يغفل تحاريف قوله هذه لحقائق التاريخ ، ذلك لان منطق مذهبه يستلزم الارتباط بالمادة والاتصال بالواقع والاتجاه نحو غاية واحدة هي القضاء على الطبقات ، ولذلك تجده يربط بين النظام الاقطاعي والكاثوليكية فقد ذهب الى ان رجل الكنيسة والامير الاقطاعي كانا يسيران دائما جنبا الى جنب ابان العصور الوسطى ، وعلى ذلك فالحرية التي يدعو اليها النظام الرأسمالي هي حرية طبقة دون اخرى ، واما الحرية المشروعة بالعدالة وبالمساواة الفعلية فلا سبيل اليها الا في ظل الاشتراكية والاشتراكية وحدها كفيلة بالقضاء على الانحراف .

٥ــ الاسس الاقتصادية للاشتراكية الماركسية :

على (ماركس) عناية خاصة بدراسة الدعائم الاقتصادية التي تقوم عليها الاشتراكية ، ولا يمكن ان تنهض الاشتراكية الا اذا انهارت الرأسمالية البورجوازية ، وهي تحمل في ثناياها عناصر هلاكها . ويذكر (ماركس) ان الطبقة البورجوازية ثارت على النظام الاقطاعي فحطمته وبنت على انقاضه نظاما مستندا الى الحرية الاقتصادية ، واصبح للتفرد فيه السلطة العليا .

حطمت البورجوازية القيود التي كان يرسف الانسان في اغلالها في العهود الاقطاعية وحلت محل هذه الاغلال علاقات جديدة هي علاقات التعامل النقدي ، واستحالت الموجوزايين الحريات المعنوية بحرية واحدة هي حرية التجارة . بعد ان كان الاستغلال مقنعا بقناع الاوهام الدينية والسياسية

رقم 15

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

اصبح استغلالا ماديا فظيعا مكشوفا ، وقد رسخت اقدام البورجوازية بفضل ما حققته من تقدم فذ في ميادين الانتاج . فباغ الانتاج حدا لم يبلغه في العهود السابقة مجتمعة . وتمكن الانسان من تسخير قوى الطبيعة والكشف عن مكامن ثرواتها . وانتقلت الات الانتاج الضخم ، واد خلت الكيماء في الصناعة والزراعة وانتشرت الملاحة البخارية ، والسكك الحديدية والتلغرافات الخ هناك من مقومات الحضارة المادية . ولم يكن احد يحلم بأن هذه القوى الانتاجية الخارة كان في وسع المجهود البشري ان ينتفع بها على هذا الوجه الذي لم يسبق له مثيل .

بيد ان البورجوازية اد ت دورها ، ولا بد حتما من ان تختفي من على المسرح طبقا للتطور الحتمي للتاريخ . فما لك طبقة كادحة تتزايد عدد ها والبورجوازية تقوم اصلا على استغلال جهود هذه الطبقة .

فالبورجوازي انما يختلف عن فرق لميره ، وهو انه يسعى الا الى منفعته بينما الثاد ح لمرى مثاعر يسعى الى تحقيق الخير للمجتمع الا ساني كله ، فهو لا يرتبط بمنافع طبقة معينة بل يحقق مصيره بقوة خاصة وانما بشعوره بشعوره عالمية بشاعره واحساساته مرتبطة بهذه النظرة . ولذلك فالثاد ح اخ في الجهاد لجميع الكادحين في مختلف البلاد .

والنظام البورجوازي يحمل في طياته عوامل فنائه من ازمات اقتصادية وتضخم الانتاج والبطالة والفقر . والبورجوازية عاجزة بذلك عن اد اء دورها كطبقة رائدة قائدة . ومن هنا نرى ان وجود البورجوازية يناقض طبيعة المجتمع الانساني .. والموت حق طبيعي كما هو حق على كل كائن حي نتيجة لتطوره الباطني . وقوانين التناقض التي يخضع لها الاقتصاد الرأسمالي تؤدي الى تعاقب الازمات الضخمة تعاقبا مطردا وتفضي الى تحلل الطبقات الوسطى

رقم 16
Scanned by CamScanner
Scanned by CamScanner

وانتقال افراد باستمرار الى الطبقة الكادحة . وسيأتي بذلك اليوم الذي يزداد فيه عدد الكادحين زيادة كبيرة بحيث يضطرون الى الثورة والبؤس والحرمان . فيؤدي هذا الى تألب عام على الطبقة الرأسمالية وينتهي بانهيار هذه الطبقة . التطور المادي التاريخي يحتم تفتت الطبقة البورجوازية ذلك ان تطور الصناعات الصغيرة يؤدي الى قيام الصناعات الضخمة فتقوى فيئة الرأسمالية الكبيرة ويستفحل خطر الازمة الاقتصادية التي تؤدي الى تفتت الطبقة البورجوازية وهذه هي الكارثة التي لابد وان تحل بالاقتصاد الرأسمالي في رأي ماركس Thése Catastrophique ويستلهم ماركس هذه الفكرة من نظريات كبار الاقتصاديين الانجليز .

لقد كان فلاسفة الاقتصاد في القرن الثامن عشر يبحثون عن الوسائل التي يتحقق بها للدولة ثروة وازدهار . وكانوا يرون ان الوسيلة الفعالة الى ذلك هي حرية التجارة . عزز هذا الرأي الفيزيوقراطيا في فرنسا (آدم سميث) في انجلترا . ينبغي للحكومات تبعا لذلك ان تترك القوانين الاقتصادية تؤدي دورها دون تدخل منها بغية على تعويقها وتعطيل اثرها . وكان الطابع المميز لهذا الاتجاه الاقتصادي هو اتباع الاستقلال والتساهل . وكان شعار المفكرين في الميدان الاقتصادي أن كل ما هو طبيعي فعلى يديه يأتي الخير . واذا اتبع الانسان طبيعته وغرائزه فقد هيأ للقوانين أن تحقق مفعولها وهو في خير الناس جميعا . ويذهب آدم سميث الى القول بأن العامل الذي يوجه الانسان الى المحتمل منفعته الخاصة يوجهه في نفس الوقت الى التعاون مع الغير من اجل تحقيق المنفعة العامة للجميع . ولو اننا لا نظن الحقائق الاقتصادية وتتبعنا دقها لتبينا في وضوح وجلاء ان ثمة قانونا يوفق بالفعل بين المنفعة الفردية والمنفعة العامة، هذا القانون هو قانون العرض والطلب (١) .

رقم 17

Scanned by CamScanner

ويمكن شرح هذا القانون على النحو التالي : ينخفض ثمن السلعة كلما زادت كمية المعروض منها على المطلوب ، ويرتفع كلما نقصت كمية المعروض عن كمية المطلوب ، ويترتب على هذا انه اذا ارتفع منسوب الانتاج في سلعة معينة انخفض سعرها ، واذا تقهقر ارتفع سعرها ، فيزداد الانتاج حتى يتحقق التوازن بين المعروض والمطلوب ، وعلى ذلك فالنفعة الشخصية تكفي لكي تنظم الحياة الاقتصادية بما يعود بالخير على الجميع .

تلك هي نظرية حرية التجارة التي دعا اليها (الفيزوقراط) و(آدم سميث) وقد وجهت الى هذه النظرية ضربة عنيفة في كتاب صدر في انجلترا سنة ١٧٩٨ الفه مالتس Malthus وكشف فيه عن حقيقة هامة ، وهي ان المجتمع الانساني كله مهدد بالمجاعة نتيجة للتزايد الدائم في عدد سكان العالم . فالسكان في هذا الكوكب يتزايدون تزايدا هندسيا بينما تتزايد المواد الغذائية تزايدا حسابيا . وعلى ذلك فلا ينبغي ترك الامور تمضي هكذا على الطبيعة بل يتحتم التدخل في الامر لمواجهة الخطر بتحديد النسل .

واليوم وقد انخفض عدد المواليد في كثير من البلاد ، لم يعد لمخاوف (مالتس) ما يبررها . ولكن لما كان سكان اوروبا وامريكا في ذلك العهد في تزايد متصل فقد اثارت نظرية (مالتس) الهلع في النفوس . وبدأ (ريكاردو) وغيره من علماء الاقتصاد يعربدون النظر في نظريات (سميث) ويدمجون تدريجا جديدا سمي بمذهب الحرية التشاؤمية Liberalisme pessimiste و(ريكاردو) يقرر ما يلي من ضرورة عمل القوانين الاقتصادية ، ولكنه يرى ان هذه القوانين لا تقود الانسانية الى السعادة كما زعم (آدم سميث) وقد بدا له مع ذلك ان (مالتس) قد بالغ في الخطر الذي حذر منه ، ذلك لان اجرة العمال ايضا تخضع لقانون العرض والطلب ، فكلما زاد عددهم انخفض اجرهم . واذا كان عدد

رقم 18

Scanned by CamScanner

السكان في تزايد فان ذلك يؤدي الى ان تتحسن احوال اصحاب رأس المال وتسوء احوال العمال . وعلى ذلك ينبغي ان ينخفض عدد المواليد في الطبقة العاملة حتى يتحقق التوازن بين العرض والطلب ويخلص ريكاردو من ذلك بأن الثمن الطبيعي للعمل هو الذي يزود العمال بضرورات الحياة والمحافظة على النوع دون ما زيادة او نقصان .

واما ماركس فيرى ان هذه النظريات جميعا نظريات مجموعة من المفكرين الذين يحصرون جهدهم في التأمل الفكري المجرد ويبدأون دائما من مقدمات عامة مستخلصة من هذا التأمل لا من الواقع التاريخي . وعلى ذلك فالانسان كما يتصورونه ليس هو الانسان الواقعي وانما هو انسان اقتصادي مجرد Homo Oeconomicus مزود بمعض ميول اولية وحوافز فطرية في ابدى القوى الاقتصادية . ففي مذهب ريكاردو كتب الشقاء على العامل لاستغلال صاحب رأس المال له . ومن عنايد أ ماركس وطبق نظريته في التطور المادي التاريخي واستخلص القواعد الاقتصادية العامة التي تفسر النظام الاقتصادي الرأسمالي بعضي في طريق الانهيار .

ويستند التفسير الاقتصادي الماركسي الى الاصول التالية :

١ ــ نظرية القيمة والعمل :

يذهب ماركس الى انه ليس لشيء ما قيمة الا اذا بذل فيه مجهود انساني ولكن قيمته تقاس بمقدار العمل الذي يتطلبه انتاجه . وعلى ذلك نقول عن شيء انه يستحق يوما من العمل او ثلاثة ساعات من العمل . واذا كان الشيء هو عمل رجل ماهر فان الماهر خل في اعتبارنا تقدير الزمن الذي انفقه في التدرب على العمل الذي اجاده وتخصص فيه . ولكن هذا امر أ يثير المناقشة . فاذا كان ثمن انتاج شيء يتوقف بصفة رئيسية ــ كما لاحظ ذلك من قبل آدم سميث ــ على العمل

رقم 19

Scanned by CamScanner

الذي يتطلبه فإن قيمة تبادله تتوقف ايضا على ما فيه من قدر كبير او قليل من المنفعة او قدر كبير او قليل من الندرة . ويقر ماركس بهذا اقرارا ضمنيا . وهذا يعني ان الاجور تتنوع تبعا لقانون العرض والطلب / اعني ليس حسب بذل العمل المعطى بل بالعدد الكبير او القليل من العمال اللازمين /

٢ـ نظرية فائض القيمة :

لا تنتج الآلة قيما جديدة ، لان قيمة الاشياء التي تنتجها هذه الآلة هي مجموع الساعات التي تتطلبها صناعتها والساعات التي استخدمت فيها الآلة . على العكس من هذا قوة العمل عند العامل تخلق القيم . ذلك لان العامل في حاجة لكي يعيش الى استهلاك منتجات تمثل عددا من ساعات العمل اقل من عدد الساعات التي يستطيع عوان يؤديها . مثل ذلك ان يستهلك العامل سلعا تمثل خمس ساعات من العمل مع انه يعمل بالفعل عشر ساعات . يتساءل ماركس لعلة من هذا الفارق بين الساعات ؟ والاجابة الوحيدة على ذلك في رأيه انه لمصلحة صاحب رأس المال . يرى كارل ماركس ان ضرورات المنافسة القائمة في النظام الرأسمالي تدعو صاحب العمل لا يمنح عماله الا اقل قدر من حاجاتهم الضرورية . وعلى ذلك فصاحب العمل لا يستمد ثروته الا من مجهود العمال لا من الآلات التي يملكها . ويرد رجال الاقتصاد على هذا بقولهم / ان الجهد والفكر صنيعا ، ألم يكن من مصلحة صاحب العمل ان يعمل على تحسين الآلات التي يستعد بها ويقلل من نفقات صيانتها بالتقليل من ساعات العمل المطلوبة للانتاج / ويرى كارل جيد في كتابه تاريخ المذاهب الاقتصادية (١) ان الواقع يكذب هذا المبدأ . ذلك لان ماركس يقدم على استنتاج مبدئه واذا اتخذ موقفا معينا التزمه منذ

---

(١) انظر ص٦١٤ من : Ch. Gaide & Histoire des doctrines economiques . Paris 1948 .

Scanned by CamScanner

البداية ازاء النظام الرأسمالي ، فهو يصبغ هذا النظام دائما بصبغة فاشية .

٣ـ مبدأ البؤس المتزايد عند الكادحين :

يرى ماركس ان ما يعانيه العمال من بؤس وشقاء نتيجة لازمة لقوانين الرأسمالية ولتقدم الالة . ذلك لان تقدم الالات المضرد يؤدي الى قلة الحاجة الى العمال وازدياد عدد العاطلين منهم . وينجم عن ذلك طبقا لقانون العرض والطلب ان تقل نسبة الجزاء على عملهم ويرجع الى هذا السبب في ان الالة في النظام الرأسمالي تعد عدوا للعامل .

٤ـ تركيز الرأسمالية :

يترتب على تقدم الالة واشتداد المنافسة بين الصناعات الضخمة واخفاق الصناعات الصغيرة ، فيتزايد تبعا لذلك عدد الكادحين ويقل عدد الرأسماليين ويؤدي هذا الصدد الى الكارثة التي تقضي على الطبقة البورجوازية .

ويذهب علماء الاقتصاد من الغربيين الى ان (ماركس) قد غالى في استنباط مبادئه تلك وانه خلط بين البورجوازية باعتبارها طبقة اجتماعية والرأسمالية باعتبارها نظاما اقتصاديا . اذ قال ان ذلك ان الحتمية التي يبشر بها (ماركس) ليست حتمية مطلقة ، ففي الوسع تدخل الافراد لتعديل مجراها ووقفها عند حد .

بعد اننا لا نفتح الباب لمناقشة الاصول الاقتصادية التي يبني عليها ماركس مذهبه الاجتماعي ، وانما الذي يهمنا من عرض هذه الاصول استخلاص النتائج التي تقضي اليها في الجانب الاجتماعي .

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner

٧ـ ديكتاتورية البروليتاريا :

واذا تحققت الثورة وانهارت الرأسمالية تقدمت (البروليتاريا) لتتويج كفاحها • وحين تستولي البروليتاريا على السلطة تقوم فورا باقامة حكومة جديدة فتضم اللجان الاقليمية ، ولهذه اللجان مندوبون دائمون في اللجنة القومية المركزية التي تجمع في يديها السلطة العليا • ولا يخفى ان حكومة (البروليتاريا) تحدق بها المخاطر فهناك حكومات برجوازية عديدة تبذل غاية مافي وسعها للقضاء على الثورة الاشتراكية ، ولذلك فالحكم البروليتاري حكم ديكتاتوري لصون الثورة من المهالك • وديكتاتورية البروليتاريا امرلا مفر منه لان كل تنظيم لدولة بعد الثورة يستلزم ديكتاتورية نشيطة فعالة /والسمات الجوهرية للدولة في ظل ديكتاتورية البروليتاريا تتلخص فيما يلي :

١ـ العقيدة الرسمية التي تدين بها الدولة هي المادية الجدلية فهي من ثم تنحى الدين جانبا وتهاجم الايديولوجيات العقلية والاخلاق التقليدية • لقد كان الاعتقاد القديم أن الدين والاخلاق يتوخيان خدمة الانسانية وتحقيق التقدم لها • وماركس على العكس من هذا يرى اننا كلما احلنا بالقضاء على هذين العاملين حافظنا على روح الاشتراكية الجديدة • وتحقيقا لهذا الهدف لابد من رقابة على الصحافة والنشر • والاشراف العام على المثقفين والعلماء

رقم 22

Scanned by CamScanner

بتوجيههم توجيهاً متسقاً مع تكامل المجتمع الاشتراكي . على الا يتبع في ذلك العنف فالعنف لا يعد و ان يكون انعكاساً ابدي لوجودها للعالم الخارجي، فيجب ان يختفي في مجتمعنا الجديد ، اذ ما دمنا سنقضي على اسباب الشقاء والحرمان فليست بنا حاجة الى الاوهام والاكاذيب .

٢ـ القضاء على الطبقات الاجتماعية واعداد صفوة مثقفة من الطبقة العاملة والمؤمنين بايديولوجيتها ، وهذه الطبقة المثقفة تتولى بعبء الحكم . والقضاء على الطبقات ليس معناه تحقيق المساواة الكاملة . فالمجتمع الشيوعي في ظل ديكتاتورية البروليتاريا ينقسم الفعل الى طبقتين : طبقة الحكام ا ـ الديكتاتوريين والحفظة الاداريين ومجموعتهم في بساطة وتكتم بالطبع يطغون مقاليد الامور فالبد حتما ان يستبد وبطريقة مباشرة او غير مباشرة من تقودهم . والطبقة الثانية هي طبقة الشعب .

٣ـ تولي الدولة جميع وسائل الانتاج بحيث تقدر تواناتها لكل طبقا للجميع . والاشتراكية تراها في القضاء الرأسمالي ، والتي افضت الى قيام طبقة البروليتاريا بحيث ان تختفي . وقد اتى في البيان الشيوعي ان الناس لا ينبغي ان يبلغوا القضاء على الملكية الفردية لان هذه الملكية في المجتمع الرأسمالي وقف على الواحد من تسعة عشر من افراد المجتمع لا نجاد تتعدى العشر فكيف يحتفظ بملكية كهذه في وجود هاجرمان وشقاء للغالبية العظمى من افراد المجتمع .

ويتضح من طبيعة تطور النظام الرأسمالي انه يؤدي بدوره الى سلب الملكيات الصغيرة من اصحابها ، ونمو الملكيات الضخمة وتراكم الرأسمال المتضخم وتركيز وسائل الانتاج الخاص في ايدي قلة من اصحاب الملايين .

وهذه الملكية الصغيرة التي تحمل اثر الجهد يظلون من الناحية مبتة

رقم 23

Scanned by CamScanner

هو المسؤول عن تدهوره أيضا . ذلك لأن هذا النظام يقضي - كما يقول ماركس في كتابه رأس المال - الى خلق طبقتين الكسالى تحتكر على عاتقها المجتمع الحي بأكمله وتعيش "والكساء" على السيرا حوالية بينما تحتل الجواجز بين المدينة والريف ، وتزيد التناقضات بالاساليب الصناعية الجديدة وانتشار التصنيع في منطقة ما" البلاد .

وإذا كانت الماركسية تنادي بإلغاء الطبقية الفردية فانها لا تعارض الجماعات والشعوب ، ذلك لأنها تهتم بمجموع استغلال الانسان للانسان ومن هنا نظر ماركس الانسان في جهده . بعد أن هذه النظرية لا تخلو من مغالطة . ذلك لأن الانسان في فكر الماركسية ليس شخصا يستطيع بذاته أن يطلق له حقوق الانسان في فكر الماركسية قوة من قوى الطبيعة طلبها أن تعمل من أجل تطور المجتمع وذلك بإشراف الدولة وتوجيهها . ولما كانت هذه القوة تحتاج الى الرعاية والاكساء والرعاية فان الدولة تتولى الاشراف على ذلك بالوسائل التي تكفل للافراد أعظم قسط من العناية .

وعلى ذلك فإن الماركسية لا يوجد لديها الطبقية بالمعنى الذي نفهمه نحن ، لكن المعنى سابق على حق قرار الدولة ، ولا تتعدى وظيفة الدولة عندهم هذا الحق فحسب . ولكن الدولة لا تخلقه وليس في وسعها القضاء لأنه حق مستمد من أصل الشيء . ان حق الطبقية بالمعنى الماركسي يختلف عن ذلك تماما فهو يتحصر في نطاق قضاء حاجات الانسان الضرورية ، بعد أن الدولة في النظام الماركسي هي المالك الوحيد لجميع وسائل الانتاج .

ب - وإذا تفقد والدولة المالك الوحيد لوسائل الانتاج الرأسمالي الوحيد ، فهي أصبحت مسؤولة بحسب عن الحياة السياسية للبلاد ، ولكنها تتولى أيضا الاشراف على عملية انتاج الزراعي والصناعي وعلى توحيد التبادل التجاري

رقم 24

Scanned by CamScanner

وهي من اجل هذا تتولى اعداد تخطيط شامل عام لهذا كله وتستند في اعداده الى احصاءات واحصائيات تدخل في اعتبارها القوانين الاقتصادية واكي ينال التقدم متصلا مطردا تخصص الدولة دائما جزءا من الدخل لتصنيع البلاد . فالماركسية في هذا تؤمن بالتقدم بفضل العلم وترقية الاساليب الفنية المرتبطة به .

٥ـ الدولة الجديدة تلغي الاسرة بالمفهوم الرأسمالي ، اي الاسرة القائمة على رأس المال وعلى المنفعة الفردية . ان الحديث عن الروابط العاطفية التي تربط بين افراد الاسرة في النظام الرأسمالي اصبح لغوا لا معنى له ، اذ ان الصناعة الضخمة تقضي على كل صلة اسرية وثيقة بين ابناء الطبقة الكادحة وتحول هؤلاء الابناء الى ادوات للتجارة والعمل .

ولا يعنينا هنا ان نقف على تفاصيل الحكم في ظل ديكتاتورية البروليتاريا وانما قصدنا من عرض هذه الخطوط العامة التمهيد لحديثنا عن مجتمع المستقبل على النمط الماركسي ومكانة الانسانية والانسان في هذا المجتمع الجديد ، وهو الجانب الذي ننعم النظر فيه لما له من صلة وثيقة بالموقف الفلسفي العام للمذهب .

رقم 25

Scanned by CamScanner